التسامح في المنهج الإسلامي

أ. هارون بريك
كلية العلوم الإسلامية/ جامعة الجزائر1

خطة الدراسة:

- **مقدمة**
- **التسامح في التصور الإسلامي I**
- **التسامح الداخلي II**
- **التسامح الخارجي :III**
- **نماذج واقعية للتسامح :IV**

الخاتمة: التسامح أساس التنمية

مقدمة:

لقد عني الإسلام بهذا الموضوع بشكل جعله خلقا أساسيا لا يمكن الاستغناء عنه سواء على مستوى الأسرة أم المجتمع الإسلامي أم في علاقة المسلمين بغيرهم أفرادا ودولا ومجتمعات، هذا الخلق الذي يقابل في التصور الإسلامي العفو والسهولة واليسر واللين والصفح، ثمرة إيمانية أكيدة تظهر على كل صادق في دعواه الإيمان والصلاح والتقوى. وهو الأمر الذي علمناه من سيرة الأنبياء والمرسلين وعلى رأسهم الرسول الكريم صلوات ربي وسلامه عليهم جميعا، كما لاحظناه على القادة الكبار من أمثال الصحابة وغيرهم ممن يضيفون نجاحات متواصلة للأمة الإسلامية قديما وحديثا، وفي هذا البحث نتعرض للتسامح من خلال المنهج الإسلامي على ضوء القرآن والسنة ونتطرق لأهميته عبر العلاقات الاجتماعية المختلفة.

المنارة للاستشارات

التسامح في التصور الإسلامي:

1- أهمية التسامح (أو العفو):

قال تعالى: ﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾

في هذه الآية جعل الله العفو بمثابة ثمن عظيم يأخذه صاحب العفو مقابل الإساءة المؤلمة التي يتلقاها من غيره فهو جوهرة ثمينة جدا يضيفها إلى عقد مكارم الأخلاق التي يتحلى بها.

وهذا التعبير في إبداعه وروعته يعلن أن الأمور المعنوية تؤخذ كما تؤخذ الأمور المادية، فإذا كان المسيء أخذ رذيلة الإساءة فتحولت في نفسه إلى وخزات في الضمير قد تؤلم صاحب الوجدان الحي فليأخذ المحسن المتسامح فضيلة العفو وليتمتع بلذة الشعور بمجد المكرمة وحلاوة الرحمة والمسامحة ونعم هذا الثمن العظيم مقابل مس الألم اليسير الذي تفعله الإساءة .

يضاف إلى هذا العفو ثوابه العظيم عند الله تعالى، فمن أخذ العفو فقد أخذ هذا الثواب العظيم فملك به أجرا عند الله لا يستطيع أن يملكه لو سلك مسلكا آخر غير العفو.

وإذا حللنا الاحتمالات التي يمكن أن يلجأ إليها الإنسان في المواقف المحرجة التي يتعرض فيها لعدوان غيره عليه، وإيذائه له، لم نجد شيئا منها يكون سببا لشيء يؤخذ حقا غير خطة العفو، أما الاحتمالات الأخرى ففيها خسارة لا ربح، لكن خطة العفو خطة رابحة [1].

والاحتمالات تنحصر فيما يلي:

ا- إما إن يقابل العدوان بمثله وهو جائز شرعا ولكن قد يكون غير ميسور وربما كان المعتدي صاحب شر فيقاوم وتشتد المعركة وقد لا يتمكن من الانتقام لنفسه.

ب- وإما أن يقابل العدوان بأشد منه، وهذا انتقام بإجحاف ووقوع في الظلم وهو ما يولد في المجتمعات شرورا لا حد لها .

المنارة للاستشارات

ج- وإما أن يعفو، وهذه خطة الرشد التي تأمر بها مكارم الأخلاق لأنها من الفضائل التي يقطع الشرور وتشيع السلم، وتطفئ نيران الغضب والحمق، وتصغر الجاهل الغضوب الأحمق في نفسه وتؤلب ضده جماهير العقلاء.

الدفع بالتي هي أحسن:

وهو من أوضح صور التسامح وأرفعها، قال تعالى: ﴿ وَلَا تَسْتَوِي ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴾[2]، وقال أيضا: ﴿ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ٱلسَّيِّئَةَ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ ﴾[3].

فمن صبر على سوء أخلاق من أساء إليه مرة بعد مرة، ولم يقابل سفاهته بالغضب، ولا إيذاءه بمثله، ونصحه برفق وأبان له أنه قادر على أن ينتقم منه، إلا أنه آثر أن يدفع بالتي هي أحسن ابتغاء مرضاة الله وحرصا على روابط الأخوة الإيمانية بين المؤمنين أو على سلامة الجماعة الواحدة وأمنها فلا بد أن يحرك فيه حذر الحياء الكمين في أعماق نفسه، فيستحي من إساءاته ومما بدر منه من خلق سيء، ومعاملة مؤذية. ومع الاستحياء تتصاغر نفسه فيحاول أن يغطي نقصه باسترضاء صاحبه فيقترب إليه بأسباب المودة، ويكف عن متابعة إساءته وتنعدم عداوته التي حركته إلى الإساءة حتى يكون وليا حميما أو كأنه بمعاملته ولي حميم [4].

2- **التسامح في القرآن:**

على اعتبار أن مصطلح التسامح غير موجود بهذا اللفظ في القرآن الكريم لزم معرفة معاني هذا المصطلح في اللغة والتطرق لبعض الآيات التي وردت فيها هذه المعاني:

أ- **التسامح في اللغة:** يأخذ هذا المصطلح الكثير من المعاني منها [5]:

سَمُحَ: صار من أهل الجود والسماحة، **التسمح**: السير السهل، إن فيه **لمسمحًا**: أي متسعا، **تسامحوا**: تساهلوا، **أسمحت الدابة**: لانت بعد استصعاب، **سمح العود**: لان، **سامحه بذنبه**: صفح وعفا عنه، **سامحك الله**: غفر لك.

المنارة للاستشارات

ب- **التسامح بمعنى اللين:** قال تعالى: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴾[6]. واللين صفة الرسول ﷺ القائد الذي تمكن من أن يكون سببا في تآلف المسلمين على اختلاف قبائلهم ومشاربهم ومستوياتهم الاجتماعية والفكرية وما كان له ذلك لولا لينه وعفوه وسماحته.

قال تعالى: ﴿ ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴾[7]، والقول اللين هو الأسلوب الدعوي الأمثل المطلوب الذي ينبغي استخدامه من قبل الدعاة والمعلمين والمربيين وأصحاب التوجيه من القادة والزعماء. فأكبر الطغاة هو فرعون ومع ذلك أمر الله جل جلاله موسى وأخاه هارون عليهما السلام بأن يقولا له قولا لينا حتى تقام عليه الحجة، وقال تعالى انسجاما مع هذا التوجيه: "ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن"، فهو منهج اللين والعفو والتسامح.

ج- **التسامح بمعنى الذلة:** قال تعالى: ﴿ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ﴾[8]، وهذا الموقف الذي ينبغي أن يكون من الابن المؤمن البار لوالديه مهما حصل منهما. وعندما يتخلق الابن أو البنت بخلق المسامحة والعفو تجاه اعتداء أحد الوالدين أو كلاهما يكون الابن في موقف وكأنه ذليل ولكنها رفعة ليس فوقها رفعة.

قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ۚ ﴾[9].

وهو نفس موقف المؤمن الراقي مع إخوانه المؤمنين، وهذه صفة للفائزين من المؤمنين.

د- **التسامح بمعنى الصفح:** قال تعالى: ﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَٱعْفُوا۟ وَٱصْفَحُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾[10] .

المنارة للاستشارات

وهو موقف الصفح والتسامح مع غير المؤمنين رغم عداوتهم بسبب الحسد وعدم تمكنهم من إيثار الحق على حبهم الدنيا، فالمطلوب من المؤمن أن يصفح ويعفو حتى يأتي الله بأمره لأنه هو الفاعل جل شأنه.

وقال أيضا: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٨٧﴾ وَقِيلِهِۦ يَٰرَبِّ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ قَوْمٌ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾ فَٱصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَٰمٌ ۚ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴾[11] ، وهو نفس الموقف من أهل الكفر، فالعفو مهما كان متعلقه لا يأتي إلا بالخير حتى ولو كانوا من عتاة الكفر والمروق.

وقال تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۗ وَإِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَءَاتِيَةٌ ۖ فَٱصْفَحِ ٱلصَّفْحَ ٱلْجَمِيلَ ﴾[12]، إن المؤمنين يقفون المواقف من الناس ولكن عينهم وقلبهم مع الله، فعندما يأمرهم بالصفح يصفحون. والله سبحانه وتعالى يسير الأمور بالعدل والحق لأنه خلق الخلق كل الخلق بالحق، ولا يكون إلا الحق.

هـ- التسامح بمعنى الغفران: قال تعالى: ﴿ وَلَمَنِ ٱنتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ ﴿٤١﴾ إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَظْلِمُونَ ٱلنَّاسَ وَيَبْغُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤٢﴾ وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴾[13]، والمؤمنون لا يكونون معتدين، يستغلون الثأر والانتقام ليعتدوا. هذا غير جائز، وإن جاز لهم الانتصار على من ظلمهم واعتدى عليهم فإن أحسن طريقة حتى لا يتجاوزوا الحد المطلوب والمقابل لظلمهم، عليهم أن يغفروا ويصبروا وهو أفضل شيء.

وقال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا۟ هُمْ يَغْفِرُونَ ﴾، وهي صفة المؤمنين المحسنين المراقبين لله تعالى، فلا يخرجهم غضبهم عن دائرة الحق والإحسان، فيغفرون لمن أغضبهم طاعة لله الذي لا يغيب عن قلوبهم جل شأنه.

و- **التسامح بمعنى العفو**: قال تعالى: ﴿ وَجَزَٰٓؤُا۟ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا ۖ فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾[14]، وهو نفس المعنى في الآية قبل الأخيرة، فالعفو أحسن من القصاص وأخذ الحق من الظالم المفتري، وذلك حتى لا يقع المؤمن في التجاوز والظلم لأن الله لا يحب الظالمين، فيعفو ويترك الأمر لله جل جلاله.

المنارة للاستشارات

وقال تعالى: ﴿ وَإِن طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّآ أَن يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوَاْ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ عُقْدَةُ ٱلنِّكَاحِ ۚ وَأَن تَعْفُوٓاْ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۚ وَلَا تَنسَوُاْ ٱلْفَضْلَ بَيْنَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾[15] .

وهو ما ينبغي أن يطبع العلاقة الأسرية، فالعفو والصفح لا يقتصر على الأسرة المستمرة البناء والعطاء وهو ما سنبينه فيما بعد، وإنما يمتد حتى بعد الفرقة، لأن المؤمن يكون عفوا سمحا مع أبعد الناس، ما بالك مع من كان أقرب الناس إليه؛ زوجه (أو زوجها).

3- **التسامح كمظهر لإيمان الفرد:**

إن الإيمان بالله وباليوم الأخر فيه المساعدة على التحلي بهذا الخلق العظيم ذلك أن المؤمن من خلال يقينه بالله يدرك أن الله يحب هذا الخلق ويحب من يتصف به ولذلك كانت أمنا عائشة تسأل رسول الله ﷺ عن دعائها ليلة القدر فقال لها ﷺ قولي: " اللهم إنك عفو تحب العفو فاعف عني "[16] .

والمؤمن الذي وصل درجة مراقبة الله أي ارتقى إلى مقام الإحسان الذي عرفه النبي ﷺ وهو يجيب على سؤال جبريل عليه السلام: " أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فهو يراك "، يجب أن يراه الله جل شأنه وهو يعفو ويتسامح. مثاله مثال ذلك الصبي الذي يعمل العمل الجميل وهو يتطلع لأن يراه أبواه، كما أن الإيمان باليوم الآخر كفيل بالتحفيز على التحلي بهذا الخلق الكبير، فالله سبحانه وتعالى يجازي المتسامحين العافين عن الناس أحسن الجزاء، فالمؤمن الذي يدرك أن الآخرة خير من الدنيا وأن الله سبحانه وتعالى لا يضيع أجر المحسنين، وأنه جل شأنه يعفو عن العافين ويدخلهم الجنة. يهون عليه أن يتنازل ويتجرع مرارة حبس النفس عن الانتقام وعن إنفاذ مقتضى الغضب، وهو أمر صعب إلا على المؤمنين الصادقين في توجههم إلى الله المتطلعين إلى ثوابه يوم القيامة.

4- **العفو صفة المتقين:**

والتقوى مستوى أرفع وأرقى من مستويات الإيمان، وقد بين أهل العلم أن مقامات الدين تبدأ من مقام الإسلام ثم يرتقى الفرد إلى مقام الإيمان، قال

المنارة للاستشارات

تعـــــــالى: ﴿ قَالَتِ ٱلۡأَعۡرَابُ ءَامَنَّاۖ قُل لَّمۡ تُؤۡمِنُواْ وَلَٰكِن قُولُوٓاْ أَسۡلَمۡنَا وَلَمَّا يَدۡخُلِ ٱلۡإِيمَٰنُ فِي قُلُوبِكُمۡۖ ﴾[17]، ثم يرتقي بعد ذلك إلى مقام التقوى الذي يقول فيه الله جل شأنه: ﴿ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلۡمُتَّقِينَ ﴾[18] ، ثم يرتقي إلى مقام الإحسان الذي ذكرناه قبل قليل، ثم إلى مقام الشكر وهو أعلى المقامات، قال تعالى: ﴿ وَقَلِيلٞ مِّنۡ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ ﴾[19] ، وعندما كان النبي ﷺ يطيل القيام حتى تتفطر قدماه، فقالوا له: لم كل هذا يا رسول الله وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر، فقال: ﷺ" أفلا أكون عبدا شكورا"[20] .

ومقام التقوى يمكن المؤمن من أن يجعل بينه وبين شرور الدنيا والآخرة وقاية، فالذي يعفو ويتمكن من التسامح فهو بإذن الله في وقاية من الشرور.

والمتسامح محبوب من قبل الله ومن قبل الخلق، فهو محفوظ بعناية الله وسالم من شرور الخلق.

قال تعالى: ﴿ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴾[21] .

وهي صفات راقية للمتقين كلها متعلقة بعطاءات معنوية ومادية، فهم منفقون على كل حال في السراء والضراء، وهم كاظمون للغيظ، عافون عن الناس وكل ذلك رقاهم إلى مرتبة الإحسان.

التسامح الداخلي:

1- **التسامح بين المؤمنين:**

وهو من أرفع الأخلاق كما أشرنا سابقا فبقدر حرمة المؤمن عند الله تعالى كونها أعظم من حرمة الكعبة وزوال الدنيا بأسرها أهون عند الله من سفك دم امرئ مسلم. وهذا ما يفرض عدم التعرض لأي مؤمن بسوء أو أذى، والمؤمن مهما كان حاله الظاهر قد يكون من أقرب الناس إلى الله تعالى أي من أوليائه، قال تعـــــالى: ﴿ أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ٦٢ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ

المنارة للاستشارات

وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴾ وقال النبي ﷺ في الحديث القدسي، فيما يرويه عن ربه: "قال تعالى: من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب...." فإيذاء المؤمن أمر خطير وهو إعلان الحرب على الله ومع ذلك فقد يحصل أن يتأذى المؤمنون من بعضهم البعض وتحصل التجاوزات وقد يصل إلى القتل والعياذ بالله، فالمؤمن المتضرر من غيره من المؤمنين إذا عفا وتسامح وتجاوز عمن ظلمه يكون قد ارتقى إلى درجة كبيرة في الإسلام . وهو ما حث عليه رسولنا الكريم ﷺ وجسده في حياته – عن أنس رضي الله عنه قال: كنت أمشي مع رسول الله ﷺ وعليه برد نجراني غليظ الحاشية، فأدركه أعرابي، فجبذ (جذب) بردائه جبذة شديدة، فنظرت إلى صفحة عاتق النبي ﷺ وقد أثرت بها حاشية الرداء من شدة جبذته، ثم قال: يا محمد مر لي من مال الله الذي عندك، فالتفت إليه فضحك، ثم أمر له بعطاء" متفق عليه.

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: " ما خير رسول الله ﷺ بين أمرين قط إلا أخذ أيسرهما، ما لم يكن إثما، فإن كان إثما، كان أبعد الناس منه، وما انتقم رسول الله ﷺ لنفسه في شيء قط، إلا أن تنتهك حرمة الله فينتقم لله تعالى" [22]، متفق عليه.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: بال أعرابي في المسجد، فقام الناس إليه ليقعوا فيه، فقال النبي ﷺ: " دعوه وأريقوا على بوله سجلا من ماء- أو ذنوبا من ماء- فإنما بعثتم ميسرين، ولم تبعثوا معسرين "[23] رواه البخاري.

وروى الإمام أحمد والترمذي عن عائشة قال: " لم يكن رسول الله ﷺ فاحشا ولا متفحشا، ولا صخابا في الأسواق، ولا يجزي بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويصفح "[24] .

وهذا ما ملك به رسول الله ﷺ قلوب أصحابه، فقد كانوا أطوع له من بنانه، إنهم عرفوا في قلبه الرحمة لهم، والشفقة عليهم، بالتجربة الطويلة الأمد. فكان حبه في قلوبهم أعظم من حبهم لأنفسهم وأهليهم وأولادهم.

المنارة للاستشارات

2- **التسامح داخل الأسرة:**

وإذا كان التسامح ضرورة اجتماعية وسببا لنجاح العلاقات بين الأفراد والمجتمعات فإنه أكثر أهمية داخل الأسرة لما تتعرض له من تحديات وتجاذبات قد تؤدي إلى نسف هذا الرباط المقدس الذي سماه الله تبارك وتعالى "بالميثاق الغليظ" ليتدخل بقوة مستغلا هذا الظرف فيصب الزيت على النار، وكما هو معلوم فإن أكبر أهداف الشيطان تحطيم بناء الأسرة وتشريد أفرادها وإبعاد بعضهم عن بعض الأمر الذي يجعله لا يتوانى عن استغلال أي هفوة أو سوء تفاهم يحصل بين أفرادها ليتدخل بقوة مستغلا هذا الظرف فيصب الزيت على النار، ويزيدها اشتعالا واضطراما ولا يرضى حتى يظفر بتمزيق الروابط والدفع نحو الندم والخسران، ولذلك وجدنا أن أكبر صور سوء التفاهم تظهر في الأسر من خلال ارتفاع نسبة الطلاق الفعلي وكذا الخصام وفتور العلاقات وبرودتها في مجتمعاتنا، وأحسن دواء يقطع الطريق على شياطين الإنس والجن حتى لا يتمكنوا من هدم بنيان الأسرة هو العفو وفي بعض الأحيان التنازل عن الحقوق مؤقتا حتى يزول الاختلاف ويحل الوئام ويعود الصفاء إلى العلاقة، وتستعيد حيويتها وروحها من جديد.

قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ مِنۡ أَزۡوَٰجِكُمۡ وَأَوۡلَٰدِكُمۡ عَدُوّٗا لَّكُمۡ فَٱحۡذَرُوهُمۡۚ وَإِن تَعۡفُواْ وَتَصۡفَحُواْ وَتَغۡفِرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ١٤ إِنَّمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَأَوۡلَٰدُكُمۡ فِتۡنَةٞۚ وَٱللَّهُ عِندَهُۥٓ أَجۡرٌ عَظِيمٞ ﴾[25].

والله جل شأنه يصور لنا حالة الأسر قديما وحديثا بحيث يمكن أن يتحول الأزواج والأولاد إلى أعداء حين يضعف الإيمان وتتضبب (من الضباب) الصورة وتسيطر الغفلة وتتقلب الموازين فينسى المؤمن من هو القريب الحبيب الأولى بالمعروف ومن هو العدو البعيد المستحق للنكران والهجران، وهو عمل الشيطان الذي يدفع المؤمن لأن يتناقض مع حليفه ويوهمه بالاقتراب من عدوه والتفاهم معه، وهي خطة إبليسية تتوزع فيها الأدوار بين شياطين الإنس والجن أعداء المؤمنين إلى يوم الدين.

المنارة للاستشارات

والله سبحانه وتعالى يخبرنا بهذه الحالة التي قد تكون عليها الأسرة وذلك حتى يكون لنا العلم والفهم المسبق فلا نتفاجأ ويقع المحظور فهو جل شأنه ينذرنا ويعلمنا بأنه يمكن أن تتحول الزوجة أو الزوج والأولاد إلى أعداء وإذا حصل هذا فإن الألم يكون شديدا كما قال الشاعر:

وظلم ذوي القربى أشد مضاضة على المرء من وقع الحسام المهند

ويزداد الغضب ويرتفع إلى حدوده القصوى بما يضعف عنده التحكم في النفس فيقع رد الفعل المحزن الذي يخدم الشيطان ولا يفرح الرحمان، ولذلك أرشدنا الله تبارك وتعالى إلى الدواء الناجع ألا وهو العفو والصفح والغفران في قوله تعالى: ﴿ وَإِن تَعۡفُواْ وَتَصۡفَحُواْ وَتَغۡفِرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ﴾.

والله سبحانه وتعالى بعد أن بين عداوة الأزواج والأولاد قال جل شأنه: فاحذروهم، أي لا ينبغي أن تستفزكم هذه العداوة فتتصرفوا تصرفا لا يليق بأهل الإيمان والتقوى، ولكن اثبتوا واصبروا ولا تندفعوا بسبب هذه العداوة إلى مواقف مرجوحة فعليكم أن تعالجوا الأمر بمزيد الدعم لبنيان الأسرة وتقوية لحمتها وتماسكها بالعفو والصفح والمغفرة.

رسول الله ﷺ يؤكد على العفو على النساء:

فقد رأينا كيف أن الله سبحانه وتعالى بين مشكلة الأسرة وأرشد جل شأنه إلى الحل وهو العفو والصفح والغفران ورسول الله ﷺ يزيد الأمر وضوحا ويزيد التأكيد على هذا الخلق المهم لاستقرار الأسرة وثبات بنيانها ورغم أن الله جل شأنه بين أن الزوجة قد تتحول إلى عدو وأرشد إلى العفو فكذلك رسول الله ﷺ وجه إلى العفو وجسده مع نسائه فرسول الله ﷺ يقول في الحديث الصحيح: "استوصوا بالنساء خيرا، فإن المرأة خلقت من ضلع أعوج، وإن أعوج ما في الضلع أعلاه، فإن ذهبت تقيمه كسرته، وإن تركته لم يزل أعوج، فاستوصوا بالنساء" متفق عليه. وفي رواية لمسلم: "إن المرأة خلقت من ضلع أعوج، لن تستقيم لك على طريقة، فان استمتعت بها استمتعت بها وفيها عوج، وإن ذهبت تقيمها كسرتها، وكسرها طلاقتها"[26].

المنارة للاستشارات

ووصية رسول الله ﷺ هنا ترتكز على العفو والتسامح ذلك أن ذكر بأن الاعوجاج في المرأة شيء فطري وطبيعي (خلقي) وهذا الاعوجاج ينبغي أن يقابل بالعفو والصفح والتسامح، وهي لا تستقيم على أمر فتحتاج المرأة أي الزوجة إلى صدر واسع وقلب رحيم وعفو وتسامح متواصل.

كما بين رسول الله ﷺ أن صاحب خلق العفو هو خيار الناس وهو أكملهم إيمانا، ذلك لأن العفو والتسامح من أشد الأمور على النفس، ومن تمكن من أن يكون عفوا متسامحا على الدوام فهو لا شك من خيار الناس، وهو فعلا يملك طاقة إيمانية متجددة، فهو لا يفتر عن العفو ولا يفشل أمام نزغات النفس بالانتقام ولا يتعب من مقاومة الغضب وردود الأفعال، في قوله ﷺ "أكمل المؤمنين إيمانا أحسنهم خلقا، وخياركم خياركم لنسائهم"[27] الترمذي..

ويزيد رسول الله ﷺ الأمر وضوحا من خلال إرشاده المؤمنين بأن يتحاشوا الوقوع في بغض الزوجات لأنه من شأنه منعهم من العفو والتسامح فالذي يمتلئ قلبه بغضا وحقدا لا شك وأنه سيكون على حرف وأمام أي فرصة قد لا يتمالك نفسه فيقع في الانتقام وشره هدم الأسرة وتشريد الأولاد، فيقول ﷺ: " لا يفرك (يبغض) مؤمن مؤمنة إن كره منها خلقا رضي منها آخر" [28].

فالمؤمن حتى يكون له القدرة على التسامح ينبغي أن يصفي قلبه على الدوام ويطهره من كل الشوائب التي تتراكم بفعل أخطاء الزوجة وتقصيرها.

ورسول الله ﷺ جسد هذا مع زوجاته: فقد ذكرت أمنا عائشة رضي الله عنها[29] أنه ﷺ ما ضرب أحدا بيده الشريفة أبدا إلا أن يجاهد في سبيل الله، ويروى في السيرة النبوية أنه كان ﷺ في بيت عائشة ومعه أصحابه فأرسلت إليه إحدى زوجاته طعاما مع الخادم فلما رأته عائشة غارت وضربت يد الخادم فسقط الإناء من يده وتكسر وتبعثر الطعام، وأخذ رسول الله ﷺ يجمعه في إناء آخر وهو يقول: "غارت أمكم عائشة، غارت أمكم عائشة" ولم يزد على هذا بأن عنف عائشة أو أغلظ لها الكلام.

المنارة للاستشارات

ولولا قدرته ﷺ على العفو والتسامح ما جمع تحت عصمته كل هذا العدد من النساء ﷺ. واليوم تجد المؤمن يضيق صدره ولا يستطيع تحمل اعوجاج امرأة واحدة.

3- **التسامح بين الحاكم والمحكوم:**

وهو باب واسع في الإسلام وكلما تأكدت الحقوق بين المؤمنين كلما احتاجوا إلى العفو والصفح والتسامح، لأن البشر مهما كان كاملا فهو ضعيف، قال تعالى: ﴿وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا﴾[30] والله جل شأنه كتب عليه الخطأ والتقصير وعلى هذا لزم العفو والصفح والتسامح، ودائرة الحاكم والمحكوم واسعة تبدأ من الأسرة وتتخلل كل مؤسسات المجتمع وهياكله حتى تصل إلى المسؤول الأول على البلاد، فالرجل في بيته مسؤول والزوجة كذلك والمدير، والأستاذ وكل من وضع الله في رقبته مسؤولية واسعة أو محدودة، فالرسول ﷺ يقول: "كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته، الإمام راع ومسؤول عن رعيته والرجل راع في أهله ومسؤول عن رعيته، والمرأة راعية في بيت زوجها ومسؤولة عن رعيتها، والخادم راع في مال سيده ومسؤول عن رعيته وكلكم راع ومسؤول عن رعيته" متفق عليه[31] .

ولا يمكن للمجتمع أن يحافظ على نظامه إلا من خلال خلق اللين والعفو والتسامح طبعا في حدود ما يسمح به الشرع، وقد حث النبي ﷺ المسؤولين على اللين والرفق والعفو ودعا بالخير لأهل الرفق ودعا بالشر على من تشدد على رعيته.

فعن عائشة رضي الله عنها قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول في بيتي هذا: "اللهم من ولى من أمر أمتي شيئا، فشق عليهم، فاشقق عليه، ومن ولى من أمر أمتي شيئا فرفق بهم فارفق به"[32].

وجسد رسول الله هذا الخلق مع الأفراد الذين كانوا تحت سلطته ﷺ، روي أن أعرابيا جاء إلى رسول الله ﷺ يطلب منه عطاء فأعطاه الرسول، ثم قال له: "أحسنت إليك"، قال الأعرابي: لا، ولا أجملت، فغضب المسلمون وقاموا إليه، وقد هموا أن يؤدبوه بالعنف، فأشار إليهم الرسول أن كفوا ثم قام ودخل منزله، فأرسل إليه وزاده شيئا، ثم قال له: أحسنت إليك" قال: نعم، فجزاك الله من أهل

المنارة للاستشارات

وعشيرة خيرا" فقال له النبي ﷺ "إنك قلت ما قلت آنفا، وفي نفس أصحابي من ذلك شيء، فإن أحببت فقل بين أيديهم ما قلت بين يدي، حتى يذهب ما في صدورهم عنك" قال: نعم .

فلما كان الغد جاء فقال النبي ﷺ: "إن هذا الأعرابي قال ما قال فزدناه، فزعم أنه رضي، أكذلك؟" قال: نعم فجزاك الله من أهل وعشيرة خيرا".

فقال رسول الله ﷺ:" مثلي ومثل هذا كمثل رجل له ناقة شردت عليه، فاتبعها الناس، فلم يزيدوها إلا نفورا، فناداهم صاحبها، فقال لهم: خلوا بيني وبين ناقتي، فإني أرفق بها منكم وأعلم، فتوجه لها بين يديها، فأخذ من قمام الأرض، فردها، حتى جاءت واستناخت، وشد عليها رحلها واستوى عليها، وإني لو تركتكم حيث قال الرجل ما قال فقتلتموه دخل النار"[33].

صلوات الله عليك يا سيدي يا رسول الله ما أحلمك وما أحكمك، وروى البخاري ومسلم عن ابن مسعود قال: لما كان يوم حنين آثر رسول الله ﷺ ناسا في القسمة: فأعطى الأقرع بن حابس مائة من الإبل وأعطى عيينة بن حصن مثل ذلك، وأعطى ناسا من أشراف العرب، وآثرهم يومئذ في القسمة، فقال رجل: والله إن هذه قسمة ما عدل فيها، وما أريد فيها وجه الله، فقلت: والله لأخبرن رسول الله ﷺ، فأتيته فأخبرته بما قال، فتغير وجهه حتى كان كالصرف (صبغ أحمر)، ثم قال: " فمن يعدل إن لم يعدل الله ورسوله"، ثم قال: "يرحم الله موسى، قد أوذي بأكثر من هذا فصبر"، فقلت لا جرم لا أرفع إليه بعدها حديثا"[34].

وروى البخاري ومسلم عن عائذ بن عمرو، أنه دخل على عبيد الله بن زياد، فقال: أي بني، إني سمعت رسول الله ﷺ يقول :"إن شر الرعاء الحطمة"[35]، فإياك أن تكون منهم، (الرعاء: جمع الراعي، الحطمة: هو الذي يشتد على إبله أو بقره أو غنمه فيسوقها سوقا عنيفا بلا رحمة ولا حكمة ويدفع بعضها إلى بعض بالعسف والضرب حتى يحطم بعضها بعضا، والحطمة من صيغ المبالغة،

المنارة للاستشارات

وتطلق على العنيف الشديد الذي يحطم الأشياء ويكسرها بعنفه وقسوته، ولما كانت النار تحطم ما تمسه سميت في القرآن الحطمة)[36].

فأبان الرسول ﷺ أن شر الرعاة من الولاة والحكام هم الذين يشتدون على الرعية ولا يرفقون بهم، ويدفعونهم بالعسف والعنف إلى أن يحطم بعضهم بعضا ويكسر بعضهم بعضا، ويقتل بعضهم بعضا.

وقد ضرب الرسول ﷺ في قوله: "إن شر الرعاء الحطمة" مثلا لكل راع عنيف قاس شديد لا رحمة في قلبه على رعيته من الناس، سواء أكان ولي أسرة أم صاحب سلطان، صغرت دائرة رعيته أو كبرت.

فشر الرعاة من الناس على الناس هو الحطمة الذي لا رفق عنده، ولا رحمة في قلبه تلين سياسته وقيادته، فهو يقسو ويشتد على رعيته، ويوسعهم عسفا وتحطيما، ويدفعهم دائما إلى المآزق والمحرجات، ولا يعاملهم بالرفق والحكمة في الإدارة والسياسة.

التسامح الخارجي:

1- التسامح ومفهوم المواطنة:

إن هذا الخلق لا ينحصر فقط بين المؤمنين وإنما يتعداه إلى غيرهم من كل الملل والنِحل الأخرى، ذلك أن الإسلام يحرص أيما حرص على استقرار المجتمع الإسلامي وهدوئه وأمنه حتى يتمكن السكان وأفراد المجتمع من القيام بواجباتهم على أتم حال، وكيف يتمكن الفرد من أن يعيش في هدوء وأمان يسعى إلى الوصول إلى مصالحه ومصالح غيره من خلال الحركة الإيجابية البناءة وهو يعيش حالة الفزع والهلع بسبب الأحقاد وتصفية الحسابات. وأهم واجب إقامة عبادة الله سبحانه وتعالى التي لا تبلغ تمامها إلا في أجواء الأمن الغذائي والأمن العام، قال تعالى: "فليعبدوا رب هذا البيت الذي أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف"[37] .

المنارة للاستشارات

ولذلك أمر الله سبحانه وتعالى رسوله الكريم أن يأمر المؤمنين بالعفو والمغفرة لغير المؤمنين في قوله تعالى: ﴿ قُل لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ يَغۡفِرُواْ لِلَّذِينَ لَا يَرۡجُونَ أَيَّامَ ٱللَّهِ لِيَجۡزِيَ قَوۡمَۢا بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ١٤ مَنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا فَلِنَفۡسِهِۦۖ وَمَنۡ أَسَآءَ فَعَلَيۡهَاۖ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمۡ تُرۡجَعُونَ ﴾[38] الجاثية: 14-15

فالذين لا يرجون أيام الله هم الذين ينكرون يوم القيامة، فهم كافرون، ومع ذلك فإن الله يطلب من المؤمنين أن يغفروا لهم إساءاتهم الشخصية.. والهدف من ذلك- إضافة إلى ما ذكرنا من قبل- حتى يكون المسلمون بأخلاقهم الكريمة داعين إلى الإسلام محببين إياه للناس، بعيدين عن كل قسوة وغلظة في القول أو في العمل. فكم من الناس أسلموا بفضل الخلق النبوي، والخلق الإسلامي الذي كان يتمتع به المسلمون الأولون.

ولقد ضرب الرسول ﷺ أروع الأمثلة في العفو والصفح عن الكفار من مشركي قريش ومن يهود المدينة، وكان- صلى الله عليه وسلم- يغلب حلمه غضبه وكذلك فعل الصحابة من بعده رضوان الله تعالى عنهم مع غير المسلمين حتى والحرب قائمة بينهم وبين أسيادهم. وهي سماحة الإسلام المبنية على الرحمة والرأفة بكل الخلق حتى الحيوان وكل ما فيه روح، ولقد رأى النبي- صلى الله عليه وسلم- جنازة يهودي مارة أمامه فوقف لها، فقال أحد الصحابة: إنها جنازة يهودي. فقال له- صلى الله عليه وسلم: أليست نفساً؟"

وكانت شيمة الرسول ﷺ العفو وهو في مكة مستضعف في أشد الحاجة لمن ينصره ومع ذلك لم يكن ليدعو على قومه بالهلاك أو يستنصر الله ضدهم في أن يمحقهم ويزيلهم من الأرض كما فُعل مع الأقوام السابقين. روى البخاري عن عبد الله بن عمرو بن العاص- رضي الله عنهما- أنه قال: "بينا النبي ﷺ يصلي في حجر الكعبة إذا أقبل عقبة بن أبي معيط، فوضع ثوبه في عنقه فخنقه خنقا شديدا، فأقبل أبو بكر حتى أخذ بمنكبه، ودفعه عن النبي ﷺ وقال: أتقتلون رجلا أن يقول ربي الله؟"[39].

المنارة للاستشارات

وروى النجاري أيضا عن عبد الله بن عمر قال: "بينا النبي ﷺ ساجد وحوله ناس من قريش جاء عقبة بن أبي معيط بسلى جزور فقذفه على ظهر النبي ﷺ فلم يرفع رأسه فجاءت فاطمة- رضي الله عنها- فأخذته من ظهره ودعت على من صنع ذلك"[40] .

ومع ذلك لم يدع عليهم بالشر، وهو نفسه الذي أجاب جبريل- عليه السلام- عندما التقاه راجعا من الطائف بعد أن أغروا به سفهاءهم ومجانينهم يضربونه ﷺ بالحجارة ومعه زيد حتى أدموا قدميه الشريفتين. فقال له جبريل- عليه السلام- هذا ملك الجبال يقول لك: إن أردت أن أطبق عليهم الأخشبين (الجبلين) فقال ﷺ: أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئا"[41] والحديث متفق عليه.

2- **تسامح الدول الإسلامية مع الدول الأخرى:**

إن أساس علاقة المسلمين بغيرهم ما يعرف اليوم التعايش السلمي والتعاون على الخير، ذلك أن الإسلام لا يستهدف إدخال الناس عنوة في الإسلام فالله سبحانه وتعالى يقول: ﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ ﴾ وإنما يستهدف حصول الحرية بما يتيح للناس معرفة الدين، وبعد ذلك فلهم الخيار في الدخول فيه أو الامتناع عنه، وبما أن القوانين اليوم تتيح للناس الكثير من الحقوق التي تندرج تحت حقوق الإنسان بما يمكن الجميع من عرض أفكاره وأهل الدعوة الإسلامية يمكن لهم الدعوة إلى الله بالتي هي أحسن وإظهار شعائرهم الدينية فإن العلاقة مع هذه الدول ينبغي أن يسودها القيم والأخلاق..

أ- مع أمة اليهود: والله سبحانه وتعالى يقول: ﴿ فَبِمَا نَقۡضِهِم مِّيثَٰقَهُمۡ لَعَنَّٰهُمۡ وَجَعَلۡنَا قُلُوبَهُمۡ قَٰسِيَةٗۖ يُحَرِّفُونَ ٱلۡكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَنَسُواْ حَظّٗا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِۦۚ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَآئِنَةٖ مِّنۡهُمۡ إِلَّا قَلِيلٗا مِّنۡهُمۡۖ فَٱعۡفُ عَنۡهُمۡ وَٱصۡفَحۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴾[42] .

المنارة للاستشارات

فأمة اليهود الموصوفين في هذه الآية بهذه الأوصاف الخطيرة حتى إنهم استحقوا اللعنة من الله تعالى ومع ذلك أمر الله جل شأنه الرسول ﷺ أن يعفو عنهم ويصفح، إن الله يحب المحسنين .

وعلى هذا ينبغي لقادة الدولة أن يكونوا في هذا المستوى من الهدوء والاتزان وحسن التعامل مع الغير حتى نكون بحق من الملتزمين بمنهج الله في التعامل.

إن رسول الله ﷺ وفور وصوله المدينة لتأسيس دولة الإسلام عقد معاهدة مع أمة اليهود الذين يسكنون المدينة، واحتوت هذه الصحيفة مبادئ وقوانين السماح والتجاوز. ولم يتجه فكره ﷺ إلى رسم سياسة للإبعاد أو المصادرة والخصام، بل قبل – عن طيب خاطر – وجود اليهودية والوثنية، وعرض على الفريقين أن يعاهدهم على أن لهم دينهم وله دينه.

إن هذه الوثيقة تنطق برغبة المسلمين في التعاون الخالص مع يهود المدينة، لنشر السكينة في ربوعها والضرب على أيدي العادين ومدبري الفتن، أيا كان دينهم. وقد نصت – بوضوح- على أن حرية الدين مكفولة[43].

وزيادة في تأكيد هذه الروح فُرض على المسلمين التوجه في الصلاة إلى بيت المقدس قبلة اليهود في بادئ الأمر قبل أن تحول بعد ذلك إلى البيت الحرام بمكة[44].

ب- مع دولة قريش: من أعظم مواقف سيرة النبي ﷺ سماحة وعفوا وتنازلا وبعدا للنظر موقفه ﷺ في الحديبية، حيث خرج بعد غزوة الأحزاب في السنة السادسة للهجرة متجها إلى مكة يريد العمرة، وأحرم مع أصحابه فور خروجه من المدينة في مكان يسمى "ذا الحليفة" (أبيار علي) وفعل ذلك حتى إذا انتهى خبره إلى قريش علموا أنه إنما خرج لأجل تعظيم البيت ولم يخرج لأجل القتال، وساق معه الهدي ليأمن الناس من حربه. ومع ذلك لما سمعت قريش تجهزت لقتاله وخرجوا يعترضون سبيله خارج مكة، ولما علم ﷺ بأمرهم أخذ طريقا آخر وعرا بين الشعاب، حتى إذا وصل الحديبية بركت ناقته فقال الناس "خلأت الناقة" (حرنت) فقال ﷺ: "ما خلأت، وما ذاك لها بخلق، ولكن حبسها حابس الفيل،

المنارة للاستشارات

ثم قال: والذي نفسي بيده، لا يسألونني خطة يعظمون فيها حرمات الله إلا أعطيتهم إياها"[45].

ثم استأنف رسول الله ﷺ سلسلة من المفاوضات مع وفود قريش التي جاءته تباعا تريد منعه من التقدم نحو مكة وتقنعه بالتخلي عن استهداف قومه وعشيرته، واستطاع رسول الله ﷺ بحنكته وعبقريته مؤيدا بالوحي أن يروضهم وأن يحدث تصدعا في تحالف قبائل قريش والقبائل الأخرى حتى كادت الحرب تنشب بينهم. كل ذلك من خلال سماحته وحسن إدارته التفاوض مع قادة الوفود. وعندما أرسل عثمان بن عفان كمبعوث إلى قريش ليتحدث مع قادتهم وسمع رسول الله إشاعة بمقتله فقرر الرسول ﷺ قتالهم، ثم لما سمع المشركون دخل في قلوبهم الذعر والرعب وأرسلوا "سهيل بن عمرو" فلما رآه النبي ﷺ قادما من بعيد قال النبي ﷺ لأصحاب: "سهل أمركم". وكان ﷺ يريد إجراء معاهدة صلح على أن يخلوا بينه وبين العرب وتتوقف الحرب بينهم مدة.

ولما وصل سهيل بن عمرو وأراد أن يكتب الكتاب دار حوار ونقاش فيه استفزاز عظيم لرسول الله ﷺ ومع ذلك استوعبه واستطاع أن يتنازل ليظفر بما يريد من توقيف القتال وإجراء الهدنة. فلما جلس إلى رسول الله ﷺ قال: هات اكتب بيننا وبينكم كتابا. فدعا النبي ﷺ الكاتب فقال النبي ﷺ: اكتب "بسم الله الرحمان الرحيم" فقال سهيل: أما "الرحيم" فو الله ما أدري ما هو! ولكن اكتب باسمك اللهم. فقال المسلون: والله لا نكتب إلا باسم الله الرحمان الرحيم. قال النبي ﷺ: "اكتب باسمك اللهم"، ثم قال: هذا ما قاضى عليه محمد رسول الله، فقال سهيل: والله لو كنا نعلم أنك رسول الله ما صددناك عن البيت، ولا قاتلناك، ولكن اكتب: محمد بن عبد الله، فقال ﷺ: والله إني لرسول الله وإن كذبتموني... اكتب محمد بن عبد الله". وفي رواية مسلم: فأمر عليا أن يمحوها، فقال علي: لا والله لا أمحوها فقال رسول الله ﷺ: "أرني مكانها، فأراه مكانها فمحاها، فقال له النبي ﷺ على أن تخلوا بيننا وبين البيت فنطوف به، فقال سهيل: والله لا تتحدث العرب أنا أخذنا ضغطة، ولكن ذلك من العام القادم، وليس مع المسلمين إلا السيوف في قرابها، فكتب. فقال

المنارة للاستشارات

سهيل: وعلى أن لا يأتيك منا رجل وإن كان على دينك إلا رددته إلينا، ومن جاء منكم لم نرده عليكم، فقال المسلمون: سبحان الله، كيف يرد إلى المشركين وقد جاء مسلما؟ والتفتوا إلى رسول الله ﷺ يسألونه: أنكتب هذا يا رسول الله؟ قال: نعم، إنه من ذهب منا إليهم فأبعده الله، ومن جاءنا منهم فسيجعل الله له فرجا ومخرجا. وفي الصحيحين أن عمر بن الخطاب قال: "فأتيت نبي الله ﷺ فقلت: ألست نبي الله حقا؟ قال: بلى، قلت: ألست على حق وعدونا على باطل؟ قال: بلى، قلت: أليس قتلانا في الجنة وقتلاهم في النار؟ قال: بلى، قلت: فلماذا نعطي الدنية في ديننا إذن؟ قال: إني رسول الله ولست أعصيه وهو ناصري، قلت أولست كنت تحدثنا أنا سنأتي البيت فنطوف به؟ قال: بلى، أفأخبرتك أنك تأتيه عامك هذا؟ قلت: لا، قال: فإنك آتية ومطوف به..." فما هو إلا أن نزلت سورة الفتح على رسول الله ﷺ، فأرسل إلى عمر فأقرأه إياها، فقال: يا رسول الله: أوفتح هو؟ قال: نعم، فطابت نفسه[46].

نماذج واقعية للتسامح:

1- **نموذج رسول الله ﷺ :**

ومن روائع عفو الرسول ﷺ عفوه عن كبير منافقي المدينة عبد الله بن أبي بن سلول، إذ قال عبد الله بن أبي مستنكرا شجارا وقع بين أجير لعمر بن الخطاب وسنان الجهني- أحد حلفاء الخزرج من الأنصار- في غزوة بني المصطلق أوقد فعلوها؟ قد نافرونا وكاثرونا في بلادنا، والله ما مثلنا وجلابيب قريش إلا كما قال الأول: سمن كلبك يأكلك، أما والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل، ثم أقبل على من حضره من قومه فقال لهم: هذا ما فعلتم بأنفسكم، أحللتموهم بلادكم، وقاسمتموهم أموالكم. أما والله لو أمسكتم عنهم ما بأيديكم لتحولوا إلى غير داركم؟

وبلغت الرسول مقالته، فقال عمر: يا رسول الله مر به عباد بن بشر فليقتله فقال له رسول الله ﷺ: **فكيف يا عمر إذا تحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه؟ لا، ولكن أذن بالرحيل"**- وكان ذلك في ساعة لم يكن رسول الله

المنارة للاستشارات

يرتحل فيها، فارتحل الناس، ومشى الرسول ﷺ بالناس يومهم ذلك حتى أمسى، وليلتهم حتى أصبح وصدر يومهم ذلك، حتى آذتهم الشمس، ثم نزل بالناس فلم يلبثوا أن وجدوا أنفسهم على الأرض حتى وقعوا نياما.

وعلم عبد الله بن أبي أن الرسول قد بلغته مقالته، فجاء إليه فحلف له كاذبا وجاء ولد عبد الله هذا وكان مؤمنا صادق الإيمان إلى رسول الله ﷺ فقال له: يا رسول الله، إنه بلغني أنك تريد قتل عبد الله بن أبي، فيما بلغك عنه، فإن كنت لا بد فاعلا فمرني به، فأنا أحمل إليك رأسه، فوالله لقد علمت الخزرج ما كان لها من رجل أبر بوالده مني، وإني أخشى أن تأمر به غيري فيقتله، فلا تدعني نفسي أنظر إلى قاتل عبد الله بن أبي يمشي في الناس فأقتله، فأقتل رجلا مؤمنا بكافر، فأدخل النار؟ فقال له رسول الله ﷺ: **بل نترفق به ونحسن صحبته ما بقي معنا**" [47].

ولما مات عبد الله بن أبي بن سلول جاء ولده إلى رسول الله ﷺ فطلب منه قميصه ليكفن أباه فأعطاه الرسول ﷺ قميصه، وكان ذلك مداراة لمشاعر الولد المؤمن البار بأبيه.

2- **نموذج أبي بكر الصديق- رضي الله عنه:**

كان أبو بكر الصديق- رضي الله عنه- ينفق على مسطح لقرابته وحاجته، لكن مسطحا تورط مع الذين اشتركوا في إشاعة خبر الإفك على عائشة أم المؤمنين، رضي الله عنها، فآلم ذلك أبا بكر وآل أبي بكر فقال: "**والله لا أنفق على مسطح شيئا أبدا، ولا أنفعه بنفع أبدا**"، فأنزل الله قوله تعالى: ﴿ وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُواْ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓاْ أُوْلِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَلْيَعْفُواْ وَلْيَصْفَحُوٓاْ ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾[48] .

وبما أن الحلف الذي كان من أبي بكر إنما كان منه عقوبة لمسطح، من أجل الإساءة الكبيرة التي أساءها هذا الرجل لآل أبي بكر في المساهمة بإشاعة خبر الإفك على أم المؤمنين عائشة- رضي الله عنها- فقد أرشد الله- تبارك وتعالى- إلى العفو بقوله: ﴿ وَلْيَعْفُواْ وَلْيَصْفَحُوٓاْ ﴾.

المنارة للاستشارات

أي فلا تكن الإساءة الشخصية مانعة من فعل الخير مع المسيء، لأن فعل الخير إنما يبتغى به وجه الله ومرضاته، لا مرضاة الذين يقدم لهم الإحسان.

وحين يرى الله عبده يعفو عن المسيئين إليه فإنه يقول له: أنا أجود وأكرم قد غفرت لك، وكم للعبد من سيئات في جنب الله، وهو بحاجة لأن يغفرها الله له.

3- **النموذج الحديث في الجزائر: الرحمة ثم الوئام فالمصالحة الوطنية:**

إن الأزمة التي عاشتها الجزائر بداية التسعينات والتي تسببت في خسائر معتبرة في أرواح الجزائريين وممتلكاتهم واقتصادهم وتطور بلادهم وتقدمه كانت بفعل تخطيط خبيث رتب في مخابر الأعداء لأجل إعاقة هذا الوطن العزيز من أن يستكمل عناصر قوته بما يسهم في مزيد تحرره وسيادته وعزته وعزة الدول والشعوب الأخرى التواقة لدور جزائري دولي جديد يرفع عنهم الغبن ويساعدهم على التطور والتقدم مثلما حصل في تأثير الثورة الجزائرية التحريرية المباركة والتي أسهمت في تحرير شعوب ودول بأكملها.

إن هذا التخطيط بدأت عملية تنفيذه حقيقة منذ 5 أكتوبر 1988 بل كان التحضير لذلك قبل هذا الموعد لكن الانطلاقة الظاهرة كانت مع هذا الحدث المؤسف والذي تسبب بعد ذلك في انخراط الجزائريين الذين كانت لهم قابلية الاستعمال القذر ضد الوطن وقدراته بحسن نية أو سوئها، ولكن مهما كان عدد الحاقدين المنافقين المندسين، فإن الأكثرية مغرر بهم ومخدوعون بسبب ضعف التراكم التربوي المعرفي الحضاري الذي يكسبهم الفهم والوعي التام والذي يتيح لهم من الحرية ما يحميهم من الاستعمال القذر، ودور ترقية الفهم والوصول إلى النضج بما يحول الفرد الجزائري إلى إيجابي يشارك في البناء ولا يتورط في الهدم مهما كانت الدوافع والأسباب. واجب مشترك ينبغي أن تساهم فيه كل القوى الحية من خلال جميع مؤسسات الدولة، وهو ما دفع نحو النظرة الواقعية الصحيحة التي تجعل من إنقاذ الشباب المتورط والعمل على استيعابه داخل المجتمع من جديد شيء حتمي وواجب وطني ديني وحضاري، وهو ما نجحت فيه السلطة من خلال مراحل ثلاث متدرجة ومتوالية ومترابطة الهدف نحو

المنارة للاستشارات

الوصول إلى إزالة كل أسباب الأزمة وتفكيك كل عناصر المخطط الخبيث المرصود ضدنا بإحكام، وهذه المراحل تندرج كلها تحت عنوان التسامح، فكان قانون الرحمة ثم الوئام المدني، ثم المصالحة الوطنية.

إن النتائج التي تحققت بفضل هذه السياسة كانت مذهلة وتمكنت من القضاء على فتنة كادت أن تؤدي إلى القضاء على أسس الدولة وتحويل الجزائر بلد الشهداء وكعبة الثوار إلى ما حصل في بعض البلاد الأخرى مثل ما حصل في أفغانستان أو البوسنة أو الصومال أو غيرها من البلدان التي انتهت فيها الدولة وأهلها يعملون على تأسيسها من جديد إلى غاية اليوم منذ عقود من الزمن.

إن النتائج الباهرة التي تحققت بفضل سياسة التسامح جعلت من الدول المحترمة تدرس هذه التجربة الرائدة التي خرجت منها الجزائر قوية أكثر من ذي قبل ودفعت نحو نضج متميز يسهم في مزيد من الوحدة والتماسك الاجتماعي ويمهد نحو الإقلاع الحضاري بعد استكمال عناصر التنمية بفعل مخططات السيد رئيس الجمهورية والتي تمكن بفضلها من جعل القطار يوضع على سكته الصحيحة بمختلف الإنجازات الضخمة خلال زمن وجيز، حيث وجدنا حجم بعض الإنجازات يفوق ما أنجز منذ الاستقلال إلى غاية هذه السنوات..

الخاتمة:

من خلال ما تطرقنا إليه في هذه البحث ندرك أن حاجتنا للتسامح تبقى ملحة ومستمرة خصوصا إذا تعلق الأمر بإصلاح ذات البين وإصلاح العلاقات الاجتماعية بين فئات المجتمع سيما بين الحاكم والمحكوم بما يؤمن أمن المجتمع وسلامته من كل الهزات التي يريدها الأعداء مستغلين الخلافات والأخطاء الحاصلة والأحقاد المترتبة عن ذلك، ونحن في الجزائر لنا تجربتنا الرائدة بخصوص موضوع السلم والمصالحة الوطنية الذي حقق نجاحات مذهلة فكفكفت دموع وحقنت دماء وردت حقوق، وعادت الأخوة والمحبة بعد أن أيقن الجميع أنه لا يمكن إلا أن نتعايش متسامحين متضامنين متحدين من أجل رفع التحدي واستئناف التنمية والتغلب على الفقر والجهل والمرض والتخلف وكل صور التبعية.

المنارة للاستشارات

قائمة المراجع:

1- القرآن الكريم.

2- رياض الصالحين

3- عبد الرحمان حسن حبنكة، **الأخلاق الإسلامية وأسسها**، ط5، دمشق: دار القلم، 1420هـ/1999م، الجزء الأول.

4- ابن هشام، **السيرة النبوية**، ط1، بيروت: دار ابن حزم، 1422- 2001.

5- صفي الرحمان المباركفوري، **الرحيق المختوم**، ط1، الجزائر، الشركة الجزائرية اللبنانية، 1427 هـ/ 2006.

6- مجد الدين محمد يعقوب الفيروز آبادي، **القاموس المحيط**، ط7، بيروت: مؤسسة الرسالة، 1424هـ/2003م. :

7- مجموعة اللغويين، **المنجد في اللغة والأعلام**، ط41، بيروت: المطبعة الكاثوليكية، 2005.

الهوامش:

[1] عبد الرحمان حسن حبنكة، الأخلاق الإسلامية وأسسها، ط5، دمشق: دار القلم، 1420هـ/1999م، الجزء الأول، ص 461- 462.

[2] سورة فصلت، الآية 34.

[3] سورة المؤمنون، الآية 96.

[4] عبد الرحمان حسن حبنكة، مرجع سابق، ص 476- 477.

[5] مجد الدين محمد يعقوب الفيروز آبادي، القاموس المحيط، ط7، بيروت: مؤسسة الرسالة، 1424هـ/2003م. :

انظر أيضا: مجموعة اللغويين، المنجد في اللغة والأعلام، ط41، بيروت: 2005 المطبعة الكاثوليكية، ص349.

المنارة للاستشارات

[6] سورة آل عمران، الآية 159.

[7] سورة طه، الآية43- 44.

[8] سورة الإسراء، الآية24.

[9] سورة المائدة، الآية54.

[10] سورة البقرة، الآية109.

[11] سورة الزخرف، الآية87- 88- 89.

[12] سورة الحجر، الآية 85.

[13] سورة الشورى، الآية 41- 42- 43 .

[14] سورة الشورى، الآية 40.

[15] سورة البقرة، الآية237.

[16] رواه الإمام الترمذي، وقال حديث صحيح، من كتاب رياض الصالحين، النووي، ص 263.

[17] سورة الحجرات، الآية 14.

[18] سورة المائدة، الآية24.

[19] سورة سبأ، الآية 13.

[20] رواه البخاري ومسلم، نفس المرجع، ص258.

[21] سورة آل عمران الآيتين 133- 134..

[22] متفق عليه، نفس المرجع، ص 164.

[23] رواه البخاري، نفس المرجع، ص 163

[24] رواه أحمد والترمذي.

المنارة للاستشارات

* تفاهم يحصل بين أفرادها ليتدخل بقوة مستغلا هذا الظرف فيصب الزيت على النار.

[25] سورة التغابن، الآيتان 14- 15.

[26] متفق عليه، من كتاب رياض الصالحين، للإمام النووي، ص81.

[27] رواه الترمذي، وقال حديث حسن صحيح، نفس المرجع، ص 161.

[28] رواه مسلم، المرجع السابق، ص82.

[29] رواه مسلم، مرجع سابق، ص164.

[30] سورة النساء، الآية 28.

[31] متفق عليه، نفس المرجع، ص 87.

[32] رواه مسلم، مرجع سابق، ص167.

[33] حسن حنبكة، الأخلاق الإسلامية وأسسها، الجزء الثاني، مرجع سابق، ص350- 351.

[34] نفس المرجع، نفس الصفحة.

[35] متفق عليه، مرجع سابق، ص 167.

[36] حنبكة، مرجع سابق، ص 356.

[37] سورة قريش، الآية 3- 4.

[38] سورة الجاثية، الآية 14- 15.

[39] رواه البخاري.

[40] رواه البخاري، من كتاب صفي الرحمان المباركفوري، الرحيق المختوم،ط1، الجزائر،الشركة الجزائرية اللبنانية، 1427 هـ/ 2006،ص 97- 98.

[41] متفق عليه، مرجع سابق، ص 147- 148.

المنارة للاستشارات

[42] سورة المائدة، الآية 13.

[43] المباركفوري، مرجع سابق، ص 222- 223.

[44] ابن هشام، السيرة النبوية، ط1، بيروت: دار ابن حزم، 1422- 2001، ص 258.

[45] المباركفوري، مرجع سابق، ص 400- 401.

[46]المباركفوري، مرجع سابق، ص 406- 411.

[47] ابن هشام، مرجع سابق، ص 490- 492.

[48] سورة النور، الآية 22.

المنارة للاستشارات